المعين في التربية

نشرة تربوية - تصدر عن مفوضية البرامج في كشافة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

العدد ٣١ - شباط - ٢٠١٣

أسئلةُ الأطفال المحيِّرة

عن رسول الله صلى الله عليه وآله

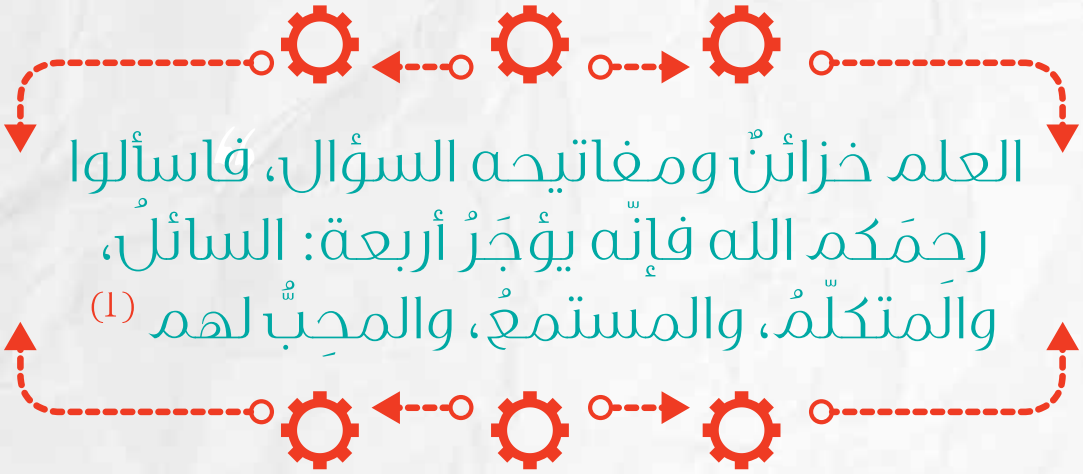

العلم خزائنٌ ومفاتيحه السؤال، فاسألوا رحِمَكم الله فإنّه يؤجَرُ أربعة: السائلُ، والمتكلّمُ، والمستمعُ، والمحِبُّ لهم [1]

(1) تحف العقول: 41

من المسلّم به لدينا أنّ هناك ميل فطري لدى البشر جميعاً لطرح الأسئلة على الآخرين كوسيلة اتصال وتواصل، وهذه الحاجة تظهر بالخصوص عند الأطفال، وذلك بسبب حب الاستطلاع لديهم وحب المعرفة.

تدور في ذهن الفرد تساؤلات تفاجئنا عند البوح بها أو الاستفسار عنها، ومهما تهرّبنا منها لن يتوقف فضوله وإلحاحه علينا لمعرفة المعلومة التي يتقبّلها ويصدّقها عقله بحسب عمره، وهنا يقع الكثير منّا في حيرة، فمرّة نتهرب ومرّة أخرى نقدّم له إجابات بسيطة معتقدين بذلك أننا نرضيه، ومرّة قد لا نجد سوى توجيه اللّوم والنهي عن معاودة طرح هذه الأسئلة...الخ، الأمر الذي يضع الفرد أمام طرق غير سليمة للمعرفة، تشوّش أفكاره وسلوكه وأخلاقه.

قصة وعبرة:

مروى فتاة عمرها 8 سنوات أي أنها على مقربة من سن التكليف، وبعد أن دخلت إحدى المدارس التي كان جوّها العام بعيداً عن الدين نوعاً ما، قرر والداها أن يسجّلانها في كشافة الإمام المهدي "عج" لكي يقنعوها بالحجاب والصلاة وغيرها من الأمور الشرعية.

بدأت مروى دورتها الكشفية في الصيف، ومنذ اليوم الثاني بدأت تأخذ دروساً دينية، في هذا اليوم وكبداية أقامت القائدة نشاطًا حول الصلاة ووجوبها وأهميتها، وأوّل ما سألت عنه مروى : " لمن نصلي"؟..

قالت القائدة:" إننا نصلي لله عز وجل فهو الذي أمرنا بالصلاة"..

فقالت مروى:" من هو الله وأين يوجد وهل يمكننا أن نراه؟"

فأجابتها القائدة:" الله هو الذي يخلق كل شيء وليس كمثله شيء وهو غفور رحيم رزّاق كريم، يحب الأولاد ويأمر الكبار برعايتهم وهو يحاسبنا على أعمالنا الجيدة والسيئة ثواباً أو عقاباً، والله موجود في كل مكان وإن كنا لا نراه".

ومن ثم سألت مروى:" هل الله إنسان مثلنا؟".

أجابت القائدة:" لا ليس مثلنا، الله خلقني وخلقك وخلق كل الناس، خلق الأشجار والأنهار والبحار وكل شيء في هذه الدنيا هل أستطيع أنا أو أنت أو أي شخص أن نخلق إنساناً؟ فالله ليس إنساناً مثلنا، بل هو مصدر القوة وإذا أراد أن يخلق قال للشيء كن فيكون" .

وبدأت مروى تفكّر بما تقوله القائدة عن الله تعالى، ولكن لم تكتمل لديها الصورة بكل تفاصيلها، وما زال لديها أسئلة كثيرة لتطرحها وتستفسر عنها وكانت كلّما تكلّمت القائدة تقاطعها وتسألها سؤالاً يزداد صعوبة في كل مرة، ولكن القائدة كانت تجيبها بدقة، أو تطرح السؤال على بقية الفتيات فيساعدن مروى على الفهم،

وفي بعض الأحيان كانت تتهرب بشكل لبق وتترك الإجابة لمروى وتقول لها:
" ما رأيك بأن تأتينا أنت بالإجابة في النشاط المقبل؟"
إلى أن سألتها:

"لماذا نصلّي لله؟ وحتى لو كان هو
الذي خلقنا فهل له أن يفرض
علينا أعمالاً كالصلاة والحجاب؟
ويحدّد تصرفاتنا؟"

هنا وقفت القائدة متحيّرة أمام هذا السؤال، ولكنها لم تظهر حيرتها أمام مروى وصديقاتها، بل تهربت من الإجابة بكل حنكة وذكاء، وأخرجت من جيبها دفتراً صغيراً وقالت لمروى:"إن الوقت داهمنا واسترسلنا بالإجابة عن أسئلتك الجميلة ولكنني سأدوّن سؤالك على الدفتر لكي أتذكر غداً الإجابة عنه".

أسباب أسئلة الأفراد الحرجة ودوافعها:

تكثر أسئلة الفرد في السنوات الأولى من عمره ـ من عامين إلى خمسة أعوام- بسبب عدم وجود خبرة سابقة، وغيرها من هذه الأسباب:

الخوف والقلق: فالفرد يسأل كثيرًا عمَّا يخاف منه؛ طلبًا للشعور بالأمن والطمأنينة من خطر المجهول، فهو يخاف الحيوانات حتى ولو لم يهاجمه في حياته حيوان، وهو يخاف اللّصوص والمجرمين والمتسولين.

حب الاستطلاع؛ فهو يجهل ما حوله وما يحدث، ويريد أن يعرفه، فيحاول بدايةً البحث معتمداً بذلك على نفسه لكنّه في النهاية يلجأ إلى من يعتبرهم أهلاً لذلك.

الاستحواذ على الانتباه، والحصول على الاهتمام؛ فسؤال الفرد دليل على رغبته في جذب الأنظار والتفات الآخرين إليه، مما يشجّعه وبشكل دائم على تكثيف الأسئلة أو حتى تكرارها.

المقاومة والتمرد على الكبار، أو السّخط على سلطة الأب والأم، أو غيرهما. وهنا يمكن أن يلجأ الفرد إلى سؤال الغرباء، مما قد يشكّل خطراً على واقع الفرد الاجتماعي.

ممارسة اللغة والتظاهر بها؛ لإدراكه أنّه أصبح يتقن لغة الكلام والمخاطبة والتفاهم، فيعتبر الأسئلة التي يطرحها محوراً للحديث وعنواناً يبدأ به مواضيعه.

مشكلة أو حاجة معينة، ناتجة عن واقع اجتماعي معيّن في المدرسة أو المنزل أو المحيط، تشكّل لديه العديد من التساؤلات.

ارتباط أسئلة الفرد بخصائص النمو:

النمو الجسمي : ويتضمّن الحجم والوزن والتغيير الجسماني كمًّا وحجماً وشكلاً ووصفاً ونسيجاً، ويتأثّر النمو بالحالة الصحية للفرد، والحالة النفسية، والمثيرات المختلفة، وينمو الجهاز العصبي نمواً سريعاً، حيث يفتح آفاقاً جديدة يرى الفرد فيها أحداثاً تستحق التساؤل، فيوجّه استفساراته إلى من حوله.

النمو العقلي : فالفرد في مرحلة ما قبل الدراسة تكثر أسئلته، ويظلّ تفكيره تخيّليّاً وليس منطقياً، حتى سن السادسة، علينا أن نلاحظ الأعمار المختلفة لأنها تتماشى مع النمو العقلي والنمو الانفعالي لكل مرحلة. فالأفراد الذين يتم إشباع حب الاستطلاع لديهم مبكراً بالنسبة لبعض المعلومات التي تلفت انتباههم يركزّون في نواحي المعرفة الأخرى ومجالاتها ويحقّقون نجاحاً وتوافقاً، بخلاف غيرهم من الأفراد الذين بقوا في حيرة من أمرهم، وظلّ ذهنهم مشدوداً نحو هذه الأسئلة.

النمو اللغوي : اللغة كمظهرٍ من مظاهر السلوك تتأثّر بمستوى ذكاء الفرد، فالبيئة المنزلية لها تأثير على النمو اللغوي، وكذا المستوى التعليمي للوالدين وطبيعة لغتهما وقدراتهما اللغوية وغير ذلك...فالفرد عند مواجهة العالم ومشاكله يسأل دائماً ويلحّ في السؤال، لأنه في حالة نشاط عقلي دائم، وكل شيء يثير انتباهه، فهو علامة استفهام دائمة: أين؟ ماذا؟ كيف؟ من؟ متى؟ لماذا؟... كل هذه ألفاظ لغوية لها مفاهيم معيّنة، وهي وسائل بالنسبة للفرد يدرك من خلالها ما يشبع حبّه للمعرفة والاستطلاع.

إن السؤال وسيلة للفرد للتواصل الاجتماعي وللتفاهم ومناقشة الآخرين والاستفادة منهم.

ارتباط أسئلة الفرد باللعب:

اللعب ضرورة من ضرورات الطفولة وهو عمل الطفل الجاد. فاللعب لا يعني بالنسبة للفرد نشاطاً سطحياً، وذلك لأنه بواسطة اللعب يكتشف ذاته وإمكاناته ويكتشف صعوبات يتحداها، فهو عندما يواجه صعوبة ما ينفعل فيفكر ثم يسأل. لذلك يمكننا عن طريق اللعب أن نوصل مجموعة من الإجابات على العديد من الأسئلة التي تدور في ذهن الفرد، ويكون أكثر اقتناعاً بها من أن نلقّنه الإجابة بشكل شفهي ليحفظها. فإذا قررنا أن نلعب بالكرة مثلاً وكانت الكرة في كل مرة تقع أرضاً، يمكن أن يسأل الفرد عندها "لماذا تقع؟" أو "لماذا لا تطير كالعصفور؟"، فنشرح له بذلك جزءاً يمكن له استيعابه من قانون الجاذبية يوضّح له المسألة عن طريق التجربة باللعب.

كيفية مواجهة أسئلة الأفراد والتعامل معها:

يُجمع جمهور العلماء على أن العلاج الشافي والوافي لمواجهة أسئلة الأفراد، والتعامل المناسب والناجح مع حبهم الظامئ للاستطلاع والمعرفة، ومن أجل تبديد أسباب الحيرة والارتباك لديهم، هو الإجابة إجابة مباشرة وآنية على جميع أسئلتهم، وبقدر الإمكان بصيغة فيها الوضوح والبساطة في الإجابة.

وحين يُطرح سؤال معيّن عليك، تستطيع:

- مطالبة السائل أن يقدّم ما في جعبته (إن وجد)، وما يعرف من إجابة عن سؤاله خاصة، واستكمال أو توجيه هذه المعلومات من خلال الإجابة.
- مطالبة غيره من الأفراد القادرين على الإجابة عن السؤال المطروح، مع توجيهه أو تصحيحه بما يتناسب ومستوى الفرد العقلي واللغوي.
- تأجيل الإجابة على بعض أسئلة الأفراد لوقت آخر مناسب، لكن بطريقة لا تظهر فيها عدم معرفتك أو إرباكك، أو تخجل أن تقول أنك لا تعرف الجواب الكامل في الساعة واللحظة الراهنة، وأن الإجابة على السؤال تحتاج إلى معرفة معلومات أخرى ليست متيسّرة في الوقت الحاضر.

وينصح علماء التربية وأهل الاختصاص، أن يعلن المربي (القائد) عجزه عن الإجابة في حين لم تتوفر لديه الإجابة الصحيحة والمقنعة، لأن محاولة القائد تقديم أي إجابة بعيدة عن الدقة والمصداقية العالية، يفقده ثقة الأفراد واعتمادهم عليه وتصديقه في الأيام المقبلة. فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

"لا يستحيي العالم إذا سُئل عمّا لا يعلم أن يقول: لا علم لي به" (2).

مبادئ وإرشادات أساسية للإجابة على أسئلة الأفراد:

أيها القائد/المربّي:

- إحترم أسئلة أفرادك ولا تستهزئ أو تستخف بأيّ سؤال منهم، بل وشجّعهم على الاستفسار.
- قبل أن تجيب؛ حدّد ماذا يريد الأفراد أن يعرفوا بالضبط، فغالباً ما تكون صيغة سؤالهم غير دقيقة.

(2) المحاسن: ج1 / 328 / 664

- إكتف بقدَرٍ بسيط من الإجابة، فالأفراد يضيعون إذا ما تلقّوا إجابة كبيرة تفوق مستوى تفكيرهم واستيعابهم.
- إحرص على أن يكون الجواب صحيحاً، بسيطاً، يتناسب ومستوى منطق الأفراد، مقنعاً ومحدوداً بحسب عمرهم وحاجتهم الفعلية.
- قدّم الأسئلة في جوٍّ من المتعة والمرح والسعادة، ولا تكن جافاً في تقديم الإجابة مما يشجّع الأفراد على طرح الأسئلة مرة أخرى.
- وجّه بعض الأسئلة بطريقتك اللّائقة، ولا تزجر الأفراد على عدم ترداد هذه الأسئلة، حيث من الممكن أن يولّد ذلك كبتاً غير مرغوب لديهم، وقد يلجأون إلى غيرك ممّن لا يحسنون الإجابات الصحيحة.
- إستخدم اللغة البسيطة والمفاهيم القريبة إلى أذهانهم، مستخدماً الأمثلة الواقعية والمنطقية.
- إستعن بالقصص القرآنية والروايات والأحاديث الواضحة، والتجارب العلمية كشواهد على ما تقوله.
- إستعن ببعض الكتب والموسوعات المخصصة لأسئلة الأفراد وفضولهم.
- دعّم إجاباتك – خاصة العلمية منها- بالصور والشواهد التجريبية للتوضيح أكثر.

للحصول على النشرة بصيغة إلكترونية تجدونها على الرابط التالي

في

"منتدى مهدي الكشفي"

http://www.mahdifamily.net/forum/showthread.php?t= 32319

كشافة الإمام المهدي عجل الله فرجه

مفوضية البرامج

www.mahdifamily.net

programs@almahdiscouts.net